
الموت عطشاً
حسام الدين حسان غانم

المـــوت عطـــشا

مجموعة قصصية

تأليف : حسام الدين حسان غانم

لوحة الغلاف للفنانة المصرية

مروه سعيد الطويل

الموت عطشا

انزعجت بشدة عندما شاهدت في طريقي زحامًا كبيرًا من السيارات التي تقف أمامي فلم أعتد في هذه المنطقة على الزحام ولا في هذا الشارع أيضا صحيح إن مصر كلها زحام مهما تعددت الطرق والكباري والأنفاق ، مرت الدقائق دون جدوى وها قاربت على الربع ساعة ولا شيء يحدث ولا سيارة تتحرك وخرج الناس من سياراتهم يسألون قائدي السيارات التي أمامهم عن المشكلة ولكنهم لا يعرفون فالناظر على مدى البصر يرى أن السيارات قد وقفت لمسافة تقارب المائة متر ، خرج السائقون وأنا معهم ووصلنا إلى الرصيف نتمشى وكان منا من مشي على الجانب الأخر من الطريق لأنه كورنيش النيل فما كان من كل السائرين إلا أن غيروا اتجاههم ناحية كورنيش النيل

مضينا ناحية السيارات الأولى التي لا نعلم لماذا وقفت ؟ هل هناك حادث أو ما شابه ؟ هل هناك مسئول يمر ؟ هل هناك منزل وقع ؟ ...

أم ماذا يحدث ... ؟ وبدأنا السير وخطوة وراء خطوة وبدأت ملامح الغضب والامتعاض تتغير غريبة لماذا بدأت قسمات وجهي تتبدل ؟! وأنبسط ما عقدته من الحاجبين وسارت في جسدي نشوة ورأيتني أتنفس بارتياح ولا أعلم لماذا ابتسمت وابتسمت ؟! وانفرجت أساريري ونظرت حولي حتى يشاركني الناس فرحتي التي لا أعلم مبعثها ووجدت الناس تبتسم وتضحك والكل ينظر إلى من بيمنه ومن بيساره ويضحك والكل مبتهج وفجأة سألت نفسي من هؤلاء الناس ؟ وأين أنا ؟ ولماذا أسير ؟ وإلى أين ؟ ولماذا يسير هؤلاء الناس معي في طريقي؟ طريقي ؟ طريقي ؟ أين سيارتي ؟ ولماذا تركتها وسمعت صوتا عذبا جميلا يتنهد قائلا

الله فكان الرد من الجميع الله وفجأة تحولنا جهة اليمين ووقفنا صفا وراء الصفوف وتنفسنا بعمق شديد هواءً طيبا ملأ علينا فؤادنا ومسحت ببرودته آلامنا وردد في السر منا والعلن الحمد لله ما هذا المنظر الجميل ؟ وما هذا الإبداع العظيم ؟ يا رب لك الحمد على ما رزقت ووهبت إنك نعم المولى ونعم النصير إنه نهر النيل نعم هو نهر النيل الذي وهبه الله القدير لمصر فحولها إلى مروج خضراء وحفظ لأهلها النماء ومهما تعكر ماؤها بفعل الجهلاء ومهما تعدى عليها منا الأدعياء فهو نعيم بلادنا والشفاء .

وقفنا نتجاذب نعم الله – تعالى- علينا نحن – المصريين- ونستغفر الله لما نفعله بنعمته من تلوث وتعدي بغيض وتناسينا سبب اجتماعنا وماذا نفعل هنا ؟ ولماذا أتينا ؟ ومن عنده موعد ومن لديه سفر وكأننا نرى النيل لأول مرة ؛ غريبة فكل منا ذكر

أن هذا الطريق هو نفس الطريق الذي يسلك كل يوم ولكن لا أحد ينظر إليه ولا يفكر منا أحدا أين ينزل زجاج سيارته يتنسم عبيره أو يتلقى منه التحية . لك الحمد يا الله و لك التحية يا نيل ونعتذر نعم نعتذر ونقر نحن الواقفين بمحرابك القابعين تحت جنانك السالكين لشطآنك نعتذر أننا لم نفكر فيك وكيف نحميك ونصونك ونرعاك نعتذر لأننا لا نراك نعتذر عن نعمة الله لنا فكم من نعمة نحن نملكها ولا نحمد الله عليه ولا نذكرها هل من المعقول أن يصدق احد أننا غفلنا عن مكان استجمامنا ومكان لقاء الأحبة تُرى ما هي آخر مرة سبحنا في مائه ؟ أو تنزهنا على ضفافه ؟ أو ركبنا سفينة يختا فلوكة مركبا ودققنا على بابه ما هي آخر مرة ارتمينا في أحضانه .... وهنا لا أعلم من ذكر لنا قائلا : يا جماعة وراءنا شغل مش عايزنا تعرفوا هو في ايه معطل الدنيا وانزعجنا من هادم اللذات الذي قطع علينا

خيالنا ومشاريعنا المستقبلية من العودة إلى حضن النيل وتسرب إلينا جميعا إحساس يقول : نعم نريد معرفة ... معرفة ماذا ؟ آه تذكرنا لقد جئنا إلى هنا نسعى إلى أرزاقنا وفجأة توقف الطريق ورد البعض نعم وترجلنا من سيارتنا إلى معرفة ما الذي يعطل الطريق نعم نعم فلنكمل مسيرتنا للأمام عله حادث نشارك في التخفيف عن صاحبه أو ما شابه فنمد يد العون والمساعدة ونُسير الطريق مرة أخرى . فأكملنا المسير و كنا ونحن نسير نلتفت على الجانب الأيمن تجاه من عشقنا إنه النيل نعم النيل وكأن الناظر إلينا يرانا نسير للأمام ولكنا ملوحي الرقاب تجاه اليمين ذاهلين في ما الذي سنفعل مع هذا الجميل الأصيل العذب الهديل وكأن الناظر إلينا يجدنا نلقي التحية على من يتهادى جهة اليمين وفجأة أرتطم كل منا فيمن أمامه وكم كان ارتطامًا كبيرًا ولكن هيهات يخرجنا مثل هذا الارتطام الكبير

عن سلوكنا الجميل عجبا كان الارتطام فعلا كبير ولم نخرج كلمة آه أو سباب أو تحذير من غيرنا وكنا مهذبين ونحن الذين تقبع تحت كراسيهم العصي والشؤم وفي قلوبهم اللفظ الحقير وفي جيوبهم مديات الجرح العظيم إنه النيل ولكن ولكن دعونا نرى بماذا ارتطمنا وماذا فعلنا لأن الذي غيرنا في دقائق وأبدلنا بدلا من توجيه السبب لمن ارتطمنا به نود الاعتذار له ونطلبه بالصبر الجميل وجدنا على الأفق ناسا وخلقا عظيم يقفون كما كنا نقف تجاه النيل ولكنهم عجبا لم يؤثر فيهم ريحه وعطره الجميل يقفون ناكسي رؤوسهم أيديهم على خدودهم ورؤوسهم . من ... من هؤلاء القوم ؟ أهم أناس عاديين ؟ يقفون كالمتعبد أمام المحراب يبكي الندم على الذنب العظيم أتكون هذه هي المرحلة الثانية من الشعور الذي مرَّ بنا ونحن على النيل وأن من يسير أكثر على ضفافه يتقلب مزاجه

ويبكي الندم والتقصير ووقفنا في ذهول من هول ما
رأينا كان الواقفون تتجاوز أعمارهم السبعين يقفون
ولا يتكلمون لا يتهامسون لا تتغير ملامحهم والتي
تنم عن قلق دفين ... رباه ماذا جرى وماذا يحدث
هنا ومن هؤلاء ؟ وما الأسئلة لا تنتهي ؟ وقفت
أسألهم فلا يردون وقفت أميل على أذن أحدهم هو
في إيه ماذا يحدث يا عم يا أستاذ هل هناك غريق
هل هناك .... انزعجت وزادت حدة صوتي في إيه
يا والدي طب حد يرد علينا وقفت في وجه أحدهم
وقد ملأت عيونهم الدموع وارتسمت على وجوههم
الكآبة فما كان منه إلا أن دفعني بعضهم من أمام
وجهه وكأنه يودع حبيبا فلا يريد أن يقطع ناظره
إليه أحد ومنهم من كان من الضعف فلا يقدر على
دفعي فيميل بوجهه عني وينظر إلى ما يريد عجبا
هو أحنا في متحف الشمع ولا إيه في ايه ووجدتني
لا اسمع ردا واسمع صدى أسئلتي من ممن أتوا

معي إلى هذا المكان ووجدتنا نسير تجاه ما يبصره الناس ولا نبصره وما ينظره الناس ولا ننظره وما يعبيه الناس ولا نعيه فوجدتنا أمامه وجها لوجه قد علاها ما يعلو فعل الأيام ونخر في عظامه الأوهام ولكن ماذا يعنى هذا العمود الذي يتعبده الناس ماذا أرى وفجأة صرخ فينا شيخا جليل الهيبة طبعا لا تعرفون من هذا إنه مقياس النيل بناه الأولون لقياس منسوب المياه . وإيه المشكلة درسناه في التاريخ ..... ياه لسه فاكر كلمة تاريخ درستوه وعمرك ما شفتوه .... طب في إيه وليه الناس ده هنا ليه ....وكمان مش عارف هو فيه إيه ولا عارف احنا هنا ليه .. روح يا بني وخد اللي شبهك ده طلع اللي شبهك كتير .... طب يا عم فهمني أرجوك يا يعم فهمني فهمني حرام عليك .... يابني في بلاد بعيدة اتفقوا يعطشوك اتفقوا يجوعك و معاهم اللي عايزين يقتلوك الناس اللي

انت شايفة قدامك دول كانوا أكتر من كده بكتير كل ما المقياس بيقل ملي في ناس بتموت من الخوف عليكوا ... روح يابني وخد اللي شبهك واستنى تموت في بيتك علي سريرك .. بس الناس اللي أنت شايفه ده اختارت تموت على ضفافه ..... ثم استدار الشيخ ونظر إلى المقياس في صمت ..... وزاد الصمت . فينا اللي مشي ...... وفينا اللي اتعجب ومصمص شفايفه ......وفينا اللي قعد ذي الشيوخ باصين لمقياس النيل .... وبتخرج روحهم مع كل ملي بيقل في النيل ..... على فكرة أنا لسه واقف معاهم بس مش عارف هفضل واقف قد إيه ...

يوم في حياتي

صباح الخير هكلمكم عن يوم في حياتي .

نعم يوم واحد بس . ما هو أصلا يوم واحد كفاية أقوي عليكم .

لأنه هيكون يوم طويل ولو هكتبلكم عن أيام حياتي أكيد هتحتاجوا لسنيين علشان تقروأها . أكيد حسيتوا إنـــي حاجــة كبيــرة منــصب كبيــر..... أو مركــز اجتماعي مرموق ...... أو عالم من العلماء .. ..

لا ده.... ولا ده .

أحب أعرفكم بنفسي أنا طاولة جميلة و صغيرة صاحب المحل اشتراني من المصنع اللي هناك ده وطلعت زي القمر وصاحب المحل اشترى عشرة معاي كمان و فرش بينا المحل الشيك ده .... بيقولوا بيبيع وجبات سريعة يعني مفيش حد بيقعد أكتر من نصف ساعة وبقوم على طول ..

على فكرة نسيت أعرفكم بـ " سمير "هو المسئول عن نظافتي دايما بين كل زبون وزبون يجيب الفوطة الظريفة ورشتيين منظف مفحفحين .. وابقى زي الفل وارجع زي ماجيت من المصنع أول يوم..

المهم أدي أول زبون

الزبون : صباح الخير .

الكاشير : صباح الخير يا فندم

الزبون : أنا سامع عندكو فطار جديد

الكاشير : طبعا يا فندم أحنا مهمتنا نسعدكو

الزبون : طيب يا ريت بسرعة . كم الحساب ؟

الكاشير : خمستاشر جنيه وربع

الزبون : اتفضل

الكاشير : ثواني طلبك يكون جاهز أنت رقم ١

الزبون : شكرا

قعد الزبون وفتح جورناله وهات ياتقليب بعصبية و بسرعة عينه وقفت على صفحة البورصة وبدأ يكلم نفسه ويقول :

يا دي الحظ الغريب كان قدامي السهم ده ببلاش مرضتش اشتريه اهو دلوقتي بقى بخمسين جنيه معقول يزيد أكتر من خمس أضعاف في يوم و باقي الأسهم بتقل .. صحيح قليل البخت يلاقى العضم في الكرشة .. كان زماني ملك دلوتي آه غبي غبي أنا فعلا غبي .. كان زمان العربية اتغيرت واشتريت شقة جديدة واجوزت باه .. أنا غلطان إني بسمع كلام الواد حسن القهوجي غرقني .. هو معقولة واحد خريج تجارة يسمع كلام قهوجي يدوب بيفك الخط .. وكل ده علشان بيقول إنه سمع من الحاج أبو زيد ملك البورصة اللي بيقعد عندهم إن السهم ده خلاص مات ولسه هاينزل .. غبي ....غبي ......

ده أنا مديلوه عشرين جنيه علشان يقولي سمع إيه وإيه اللي نازل وإيه اللي طالع ....

الجرسون : رقم واحد ...... رقم واحد ..... الفطار يا فندم .

الزبون : هات يا بني ماهو اليوم باين من أوله " رشفة قهوة كبيرة يتلسع أف يدلدأ على هدومه " يادي النيلة وادي الجاكت باظ يادي النحس المركب وإيه ده السندوتش ده .. و قطمة في التانية ورشفتين قهوة وقام جري يلعن ويغمغم وماحدش فاهم أي حاجة .

المهم يا له يا سمير بسرعة رشتين من بتوعك علشان أفوق الرجل ده كان هيكسر رجلي من عصبيته وداله القهوة على وشي أنا عارف الناس مباقش فيه ذوق ليه

وفجأة ضربت ريحة برفان جنان آه أنا عارفة البيرفيوم ده بتاع مين أيوه استنى كده ...... ده

بتاع البنت " بسنت " الجميلة اللي ساكنة في آخر الشارع أكيد مزوغة من المحاضرات أيوه أكيد بس فين الواد " علاء " اللي بتزوغ معاه اهوه داخل فاتح بقه مبتسم .... أنا عارفة بتحب فيه إيه .

الكاشير : زي كل يوم يا أنسة .

بسنت : أيوه

الكاشير : اتفضلي رقم ٦ ثواني والفطار يكون جاهز

بسنت : تعالى يا " علاء " الترابيزة بتعتنا فاضية أهيه

أقولوك الحق على أد ما البنت " بسنت " جميلة وشيك وبحب اقعدتها بس الواد " علاء " ده غلس وسخيف تخيلوا عمري ما شفته طلع جنيه من جيبه هي الدنيا جرى فيه إيه هي البنات هي اللي بتصرف على الرجالة أمال لوكان الواد ده

حلو شوية ولا جان كان عمل فينا إيه صحيح مراية الحب عامية .

بسنت : عامل إيه النهارة

علاء : زي كل يوم قرفان وزهقان .

بسنت " والابتسامة نعلوها " : ليه بس يا سيدي

علاء : أبويا يا ستي مزنقها عليَّ كان عايزني مارحوش الجامعة النهارة قال إيه أختي هاتيجي من أمريكا وعايزني أطلع معاه المطار .

بسنت : طيب يا بني ما هي أختك برضه ..... طبعا أنا مكنتش عارفة اليوم هايعدي ازاي من غير ما شوفك النهاردة . بس الواجب واجب كان لازم تروح المطار معاه .

علاء : إنتي كمان هو في إيه هو انا هاعمل إيه ولا ايه

بسنت : هو أنت يا حبيبي بس بتعمل إيه

علاء : هو فيه إيه مالكم كده نكديين ليه ع الصبح وبعدين إنتي طلبتيي إيه ولا هانقضيه رغي من غير منفطر

بسنت : لا يا حبيبي أنا طلبت الفطار خلاص

علاء : على فكرة أنا عايز عربيتك هاقضي بيها كام مشوار

بسنت : هو أنت يابني مش لسه بتقول إن انت هاتروح الجامعة النهاردة و قلت كده لأبوك .

علاء : أمال عايزاني أقوله أنا عندي بروفة لحفلة المزيكا ! ده كان يمنعني من دخول البيت

بسنت : والله مانا عارفة إيه أخرت المزيكا ده ..... اللي عمري ما شفتلك حفلة من ساعة ما عرفتك

علاء : لسه بس بكره هتعرفي أنتي مصاحبة مين

بسنت : مصاحبة مين هو أحنا مش هانجوز ولا ايه

علاء : يا بنت نجوز إيه مال تفكيرك باه شبه ستي كده بسنت " مندهشة " : يعني إيه

علاء : يعني هو انتي تطولي تصاحبي فنان صوره هتغرق الدنيا دانا ممكن اخدك موديل معاي وافتحلك باب المجد

بسنت "في استغراب " : مجد يعني أنا سايبه محضراتي علشان تخليني في الآخر موديل وبعدين مين اقلك إني أنا عايزة ابقى موديل وارقص واتعري زي اللي بشوفهم دول .

علاء : هو أنتي تطولي

بسنت " مستفسرة " : على فكرة أنت بتهزر صح

علاء : والله يا بنتي ده الواد " شادي " صاحبي هو اللي قال عليك إنك حلوة وعايز يشوفك يقابل بيك مخرج النهاردة وأنا قلته ماشي

بسنت " بعصبية " : ماشي مين وصاحبك مين انت عارف انت بتقول إيه هو انت مين ..... هو أنا

للدرجادي مخدوعة فيك خلاص بقه انسى اللي بينا انا ماشيه

علاء : طب والفطار طب مش هاتديني العربية أعمل الكام مشوار يا يا ....يا ..... هي اسمها ايه آه ......يا " بسنت " بنات عايزة الحرق .

الجرسون : رقم ٦ ...... رقم ٦

علاء : هات يا معلم هنا .. ياله أحسن من وشها والغريبة إن أكل كل الأكل وكأنه عمره مشاف أكل أنا عارفة بيجبوك منين .. مش بقولكم واد ثقيل فوطك وبخخاتك يا سمير المهم عدا وقت الفطار ودخلنا في وقت الغدا وادي " سمر وأحمد " مجوزين بقالهم تالت سنين واسمحولي أقولك الخناقة النهاردة على إيه ..... أه ...آه .....هو النهاردة إيه أيوه ...... ده خلاص يومين ويجي رمضان كل عام وانتم طيبين .... طيب تبقى

الخناقة على إيه أكيد عرفتوا الخناقة أول يوم فطار هانقضيه فين

سمر : ماقلتليش يا " أحمد " اقول لماما إيه أحمد " على إيه بالظبط

سمر : على أول يوم رمضان ..... هو أنت لحقت تنسى

أحمد : يا ستي ماهو زي كل سنة اول يوم عند أمي وتاني يوم عند أمك

سمر : طب ما أحنا بقالنا تالت سنين بنفطر عند أمك

أحمد : طب وإيه اللي حصل

سمر : اللي حصل إنها دلوقتي لوحدها بعد ما أخويا إتجوز ومراته طلبت منه إنهم يفطروا عند أمها

أحمد : طب وأنا مالي أخوكي راجل خرع بيخاف من مراته أنا زنبي إيه

سمر : ماتقولش كده على أخويا ده علشان مراته غالية عليه مش زيك

أحمد : يا ستي طب أنا أعمل إيه . أنا الراجل ولازم أول يوم رمضان عند امي

سمر : أنا طب ما أنا بقولك ما أخويا راجل وأول يوم هيفطر عند حماته

أحمد : طب بالذمة ده راجل إزاي

سمر : يا سيدي حماته ولادها كلهم مسافرين وملهاش غير بنتها

أحمد : طب وأنا مالي هو أنت أخوك مسافر

سمر : ياسيدي ما أنا بقولك السنة دي بس نغير

أحمد : يا ستي ولا السنه دي ولا السنة الجاية أنا معرفش غير كده

سمر : طب ما انت متحرجنيش

أحمد : يا ستي الأصول كده

سمر : مين اللي بيعمل الأصوال يعني لو محدش خلف صبيان وخلف بنات أول يوم يفطر لوحده

أحمد : ايه ياستي إيه اللي دخل الصبيان في البنات

سمر : على فكرة بكره هافكرك لما بناتك تتجوز ويسبونا أول يوم رمضان

أحمد : لما يجي بكرة يحلها حلال

جرس تليفون سمر يرن .

سمر : ده " على " أخويا

ألو السلام عليكم ازيك يا " على "

وأنت طيب يا حبيبي

والله طب وهي رأيها إيه

والله برافو عليك يا " علي "

أنا لا ياحبيبي خليها يوم تاني

ربنا يجعله عامر بحسك يا حبيبي

مع السلامة

سمر " بتنهيدة " : الحمد لله دلوقت آكل بنفس

هو فين الأكل

الجرسون : رقم ٣٦

سمر : أيوه

أحمد : هو في إيه ومالك مبسوطة ليه

سمر : بعد الأكل أنا جعانة قوي

الأكل لذيذ كُل ... كُل

أحمد : يا ستي فيه إيه

سمر : أبدا أخويا " علي " .... أخويا علي

عازم حماته وماما هيقضوا معاهم

شهر رمضان كله وكمان عامل برنامج

جميل هيفطرهم كل يوم في مكان

و أول يوم في الحسين

أحمد " يغمغم " : طب ومالقيش ناوي يعزمنا فين

سمر : بعدين بعدين هاكملك بعد الغدا

رشتين يا سمير الحقني أنا عارفة يبقوا كبار كده وبيدلدوا إزاي

آخر النهار

وادي أسرة جميلة وصغيرة زوج وزوجه وولد وبنت زي القمر .. فعلا قمرين

الزوج : تحب تاخدي إيه

الزوجة : لا متشكرة

الزوج : يعني ميصحش

الزوجة " بحدة " : لو سمحت مش عايزة حاجة

الزوج : طيب الولاد عايزين ساندويتشات برجر

هعمل حسابك ويانا

الزوجة : كل اللي بتعمله ده ممنوش فايدة قدامك

ساعتين وأخدهم وامشي

الزوج : مفيش فايدة سوء النية وراءنا وراءنا

الزوجة " تحدث نفسها " : رجالة ميجوش إلا

بالمحاكم خليته عبرة

لف في المحاكم أربع سنين وبيعته اللي وراءه واللي قدامه وفي الاخر حكمت يشوف العيال ثلاث ساعات في الأسبوع ...

المطلق : وانتو عاملين إيه في المدرسة يا أولاد

المطلقـة : إيـه عـاملين إيـه .... بينـة صـحيح كلمهم انجليزي

المطلق "يبتسم ويخفي ثورته": هو أحنا في المدرسة

الولد : كويس يا بابا

البنت : الحمد لله الدرجات النهائية

المطلق : وانت يا حبيبي درجاتك إيه

المطلقة : فاشل زي أبوه

البنت : ليه يا بابا مابتجيش حفلة المدرسة

المطلق : إن شاء الله يا حبيبتي

المطلقـة " مقاطعـة " : يجـي فين وهقـول للنـاس إيـه أحسن يحسبوني رجعتلك ولا حاجة

المطلق " : يـا سـتي النـاس كلهـا عارفـة إننـا مطلقين

الولد : هو أنتو ليه مطلقين

المطلقة : أخرس متدخلش في اللي ملكش فيه

البنت : لأ حقيقي ليه

المطلق : بعدين يا أولاد

المطلقة : أوعى تكدب ....أنت هاتقلهم إيه

على الله اعرف انت قلتهم حاجة

المطلق : يا ستي هاقول إيه وفين ده أنت حتي

منعاني من المروح للمدرسة

وأخر مرة قالولي مش عايزين إحراج

امشي ولا نتصل بالشرطة أنا يجبولي

الشرطة علشان أشوف ولادي

المطلقة " بصوت عالي " : طبعا ما أنت محدش

عارفك أدي يمكن تخطفهم وتخبيهم

المطلق : أخبيهم فين ما خدتي كل حاجة

المطلقة : ولسه

المطلق : دنا آقعد على السطوح مع الصنيعية

والعمال في أوتين والحمام مشترك دنا مش عارف

اعيش أخطفهم أوديهم فين .

المطلقة : وكمان صوتك بيعلى يلا يا ولاد نروح ده أصله لسه متربـاش متعلمش إزاي يتكلم مع أسياده

المطلق : يا ستي استني هو أنا قلت حاجة يا ولاد الأولاد تخرج باكية بابا بابا

المطلق : هند ... هاني

حسبي الله ونعم الوكيل .. حسبي الله ونعم الوكيل

أكيد تعبتوا كفاية عليكو كده دنا ملحقتش أحكيلكم يوم وانا اللي نفسي كنت أعمل يوميات ده الأحسن اغير عنوان القصة وأخليه نص يوم في حياتي نص إيه قصدي ساعتين في حياتي .. سمير سمير رشتينك يا أبو سمرة

نضارة " سليم "

هنا في إحدى المدن الجديدة وبالتحديد داخل استراحة العمال في أحد المحلات الكبيرة وقف سليم وهو شابا في الخامسة والثلاثين من عمره أسمر البشرة دقيق الأنف أسود الشعر يحدث أصحابه عن أيام الدراسة وذكرياتها فلقد اعتادوا كل مساء أن يقص أحدهم بعضا من حكاياته حتى يتسلون ويجعلون الأيام تمر لأنهم وإن كانوا في القاهرة إلا أنهم بعيدين عن بلداتهم وأهليهم قال صاحبنا الهمام سوف احكي لكم عن قصة شاب حضر لأول مرة إلى الجامعة .. كنا في جامعة الفيوم وأنتم كما تعلمون عني من محافظة المنيا ، فكان السكن في الفيوم لبعد المسافة حيث أنني من أقصى حدود المنيا فلا أستطيع الذهاب والإياب كل يوم فكان علي السكن في المنيا فسافرت في بداية

الدراسة وأنا أعلم أن جاري " حسن " سوف يحضر إلينا لأن التنسيق أرسله لنفس الكلية - كلية الخدمة الاجتماعية – التي طالما حكيت له عنها وعن الدراسة فيها وان لها جانب عملي فنخرج إلى النوادي أو المدراس أو المستشفيات نتدرب ومعنا الزملاء والزميلات حيث أن الاختلاط فيها بين الصبيان والبنات يكاد يكون إجباريا فأعجبته الفكرة وأعجبته الكلية وقرر أن يلتحق بها وقد كان له نصيب في ذلك وأنا اليوم بانتظاره وها هي طرقات الباب تعلن عن وصول الفارس الهمام .

حسن : صباح الخير يا سليم

سليم : حمدا لله على السلامة يا أبو علي

حسن : إيه يا عم المواصلات الصعبة ديه

سليم : أومال أنت فاكر إيه

وإيه يا عم ده أنت شايل البلد كلها معاك

حسن : لا يا سيدي ده الحاجة عامله شوية أكل

والست والدتك كمان عاملك كام

حاجة قالت إنك مبتحبش تشيل حاجة

معاك اعمل إيه يا عم يعني ازعلها

سليم : والله الواحد مش عارف بيزعل أمه إزاي

بس اديك شفت المرمتة في السفر

حسن : آه والله طب هنعمل إيه دلوقتي هنروح

الجامعة إزاي

سليم : مالك جاي سخن كده ريح شوية هي

الجامعة هاتروح فين

حسن : لا يا عم أنا مستعجل عايز أحضر

المحضرات

سليم : ياوله محضرات إيه دنت تلاقيك نفسك

تتفرج على البنات

حسن : آه والله يا خوي دنا وأنا معدي وانا جاي

على الجامعة في سكتي لقيت كل

واحد معاه واحده زي القمر وماشين

قاعدين حوالين السور

سليم : مش قلتلك دنته عيل عينك زايغة

حسن : يا عم أنا بقولك اللي شفته

سليم : طب نفطر الأول وبعدين ننزل

وبعدين أنت لسه مغيرتش هدومك روح

استحمه حد يشم ريحتك تفضحنا ده أحنا

هنا عاملين سمعة للبلد كويسة مش

ناقصة فضايح وبعدين انت مغيرتش

نضارتك ده ليه

حسن : منين يا عم ... وبعدين أنا عارف إن

ممكن اعملها على حساب الجامعة

سليم : دنت دارس الموضوع كويس أيوه يا عم

تعال أوريك سريرك فين أنا وانت

هنام في اوضة واحدة مع عمر

ماشي يا عم

حسن : الله دي شقة نضيفة وكمان بتبص على

الشارع عمار يا فيوم

أمال الواحد لو راح جامعة القاهرة هيسكن فين

سليم : على السطوح وحياتك أو تحت السلم يا

بني هي مصر فيه خرم إبرة

الجامعة في الأقاليم وبس اتعلموها بأه

يلا بينا نفطر

سليم : بص باه ياعم " حسن " أحنا هنا

مقسمين الشغل يعني كل اتنين منا

هيكون عليهم تجهيز الفطار والغدا

والعشا في يوم وعليهم تنظيف الشقة

والفلوس بنجمعها مع بعض

حسن : ماشي يا عم

سليم : يلا بينا على الجامعة

ممكن ناخدها مشي وممكم نركب

حسن : لا ياعم مشي علشان الواحد يعرف البلد

كويس ...... وفي الطريق

حسن : هي العمارات دي كلها فيها طلبة

سليم : بص يا بني أصل الحي هنا جديد والناس

هنا بتسكن الطلبة نوع من الاستثمار

بس برضه في الحي ده من بين

كل عمارة والتانية تلاقي حد ساكن

سليم " متابعا حديثه " : بص يا عم ده المطعم

اللي بنجيب منه الفول والطعمية

وده الفرن بتاع العيش وده فرن الفينو

وده مكتبة من المكتبات الكتيرة هنا تصور

ورق تشتري قلم وكده ياعني

سليم " لإحدى الفتيات " : صباح الفل يا نهى

نهى : صباح الخير يا سليم

حسن : هو انت كمان عارف البنات اللي بتشتغل

في المكتبة

سليم : بكرة تعرف كل حاجة

حسن : أخيرا الجامعة

سليم : ده جدول المحاضرات اسيبك أنا

حسن : طبعا يا عم وكل البنات اللي بتصبح عليها ده تعرفك

سليم : يا بني انت في كلية مختلطة ده العادي

حسن : أمال فين اللي عليها العين والنية

......اللي هناك اهي جايه علينا .....

ممكن اتعرف عليها

سليم : يا بني انت هتفضحنا .. بعدين .. بعدين

"حسن " يدخل المحاضرات صبيان على بنات وبنات لوحدهم وولاد لوحدهم في سره " :

طب أنا هاقعد فين .... طبعا جنب الولاد ....

يا عم اسلم .. صباح الخير .. صباح الخير ..

أنا " حسن " أنا " محمد " أنا " وليد "

حسن : هو البنات دي عرفت الصبيان دوله أمتي

محمد : يا عم بكرة تتعرف انت كمان متشغلش بالك

وليد : بص أكيد كانوا مع بعض في ثانوي

محمد : يله الدكتور جه

الدكتور : صباح الخير

الطلاب : صباح الخير

الدكتور : طبعا عارفين المادة : علم اجتماع

حسن : اكتب وراء الدكتور ده دنا سائل عليه بيجيب الامتحان من المحضرات

سليم **" أمام أصدقائه في المحل "**

ومر اليوم وراء يوم ولا فيه بنت عايزه تعبره ولا هو عارف يتكلم مع حد ولما يكون في السيكشن كانوا بيعملوه عادي كل اللي حواليه بيصحبوه ويحكوله على إنه زميل وبس

حسن " يتحدث لسليم " : طب هعمل إيه

سليم : طب مانت قفل يا اخي برضه البنات

عايزة الواد اللي يضحك كده ويفرفش

حسن : بسيطة

وبعد أيام من الفرفشة والروشنه والتغيير في اللبس والجيل

حسن : مفيش فايدة لا الفرفشة جابت ولا الجيل

جاب ده يا أخي تحس إنهم كانوا بيضحكوا علي

وانكت مفيش فايدة ولو ضحكوا يبقى كله شفقة

واحسان طب اغير النضارة اروح شؤون الطلبة

شؤون الطلبة : لازم تعمل كشف بس لسه السنة

بادية تعالى كمان شهر

سليم " متحدثا لأصحابه " :

حسن يروح البيت مهموم مفيش بنت

بتعبره وأصحابه حتي اللي في الشقة

خارجين مع البنات وفيه اللي بيذاكر

حسن " في نفسه " : طيب أقعد أذاكر علشان

أجاوب واكتب محاضرات وابقى دودة

كتاب ممكن يجلي بنات تكلمني ولا حاجة

أصدقاؤه في السكن : مش هتخرج

حسن : لا أنا عندي مذاكرة

يبص شوية من الشباك ويذاكر شوية ويقول في نفسه :

" ما هو التليفزيون والسيما منهم لله دايما تقول الحب في الجامعة حاجة أساسية ونبدأ بأه الزوغان من المحضرات ويبدأ اللقاء في كافتيريا الجامعة وبعدها خطوبة وفرح وتخرج وشغل ونكمل الحياة وتوته توته توته ولا تخلص الحدوته .... على فكرة أنا واحد عادي من الفلاحين جيت شايل أفكاري عن الحب واللي بيحبوا ومصمم أعيش التجربة وأجرب يمكن ألاقي شريكة حياتي على فكرة أنا مش وسيم ولآ غني بس بحلم أكون حاجة مهمة في البلد ولازم الاقي اللي هحبها بس مش عايز اقول لحد عن أفكاري .... يضحك علي يقول علي صعيدي مش عارف حاجة ولا فلاح عمره ما خرج من بيتهم .... ماهي

الجامعة ياما بتلم لا يا عم أنا هاكتم أفكاري في نفسي ....أنا مقتنع بكلام التليفزيون والسيما أنا مليش دعوة طول عمر البطل بيقابل البطلة في الجامعة ويرتبطوا وبعدين يتخرجوا ويشتغلوا ويخلفوا صبيان وبنات ويقعدو يحكو ا لولادهم قد إيه تعبوا واشتروا كل حتة افي البيت واحدة واحدة.

وفجأة وهو في الشباك تقع عينيه على بنت واقفة جنب شباكها فيقول في نفسه :

ده في حد بعيد بيبص علي .... آه الشباك .... هناك بعيد .... تكونش بنت معاي في الكلية دي شكلها زي القمر .....طب ممكن تكون مين فيهم .... يمكن واقفه في الشباك صدفة .... دي زي متكون معاها كتاب وبتذاكر .... طيب أنا هجيب الترابيزة قدام الشباك وارقبها من بعيد لبعيد يوم والتاني ويتكرر نفس اللقاء على الشباك ويقول في نفسه :

يـا عـم ده البنـت اهيـه .... نفـس المواعيـد علـشان الـصبح أنـا مـا بـشفهاش طـب أعـرف منـين إنهـا قـصداني أنـا .... أنـزل ابـص علـى العمـارة بتعتـي لاحسن يكون في واحد غيري

سليم " لأصدقائه في استراحة العمال " :

ونـزل عمنـا حـسن يـبص علـى العمـارة اللـي كنـا ساكنين فيها ملاقش حد في أي شباك وكرر المسألة دي أكتر من مرة وكان بينـزل فـي كل الأيام يجيب طلبات لينا وأحنا نقول الواد اتغير ليه ده كان بينـزل بالعافية في دوره ....المهم تأكد تماما إن البنت ديه تقصده فتجرأ وشاورلها مردتش أحس بـإحراج .... وبعـد يـومين كـرر مـردتش .... فـشافها اتكـسفت ودخلـت بـسرعة .... فرح حسن وكرر المشاورة...... فبدأت تشاور .... ويشاور وتشاور ....والدنيا مش سيعاه من الفرحة أخيرا في حد عبره .... ويوم

وراء يوم بقت قعدته عند الشباك ومش عاوز ينزل ويشاور وتشاور ...... وينزل الجامعة ولا الشارع يضحك في وش كل البنات ماهو مش عارف أنه وأحدة فيهم المسافة بين الشباكين بعيدة وهو لابس نضارة ...... طب يعمل إيه يجيب حد من أصحابه يشوفهالوه وبعدين يأخدوا معاه في الجامعة وفي كل حتة يقوله هي ده .... طبعا كسوف .... وهنا قرر يروح شؤو الطلبة تاني عشان يحاول يعمل نضارة جديدة وبعد كام يوم من التردد على شؤو الطلبة والمستشفى ومعمل النضارات .... استلم النضارة ..... روح البيت فرحان جدا وسعيد ..... يسأل نفسه أمتى الليل يجي علشان يشوف حبيبته .... حبيبته آه حبيبته ... ما هو بقاله شهر يشاور وتشاور .... تبقى حبيبته واقترب الموعد وهو عند كل دقيقة تقرب قلب يدق دقات لم يعتد عليها .... ده شايف كويس جدا دلوقتي

... ده كمـان شـايف الـصورة اللـي متعلقـة جـوه أوضتها يبقى أكيد هيشوفها .... وفجأة ظهر القمر .

ظهر الـقـمــر .....

يقاطع " سليم " أصدقاؤه في المحل قائلين : أكيد لاقاه بومة ، وآخر يقول : لا لاقاها وحشة ، وآخر يقول : لاقاها تقطع الخميرة من البيت ..... وهم في ذلك يضحكون

إلى أن ظهر الامتعاض على وجه " سليم " فهدأ الجميع فاستطرد " سليم " قائلا " وهو شديد التأثر : لاقاها واحد عجوز قاعد في البيت لوحده وكان بيفكروا بيرحب بيه لما بيشوفه في الشباك فبيرد عليه التحية .

وهنا علا الجميع الضحكات ماعدا " سليم " الذي سارع في توضيب فرشته لينام عليها وأخلد الجميع للنوم بعد هذه الحكاية المسلية المضحكة وتعالى شخيرهم غير أن الناظر إليهم يجد أن هناك من لم

يغمض لـه جفن وظـل شـاردا يمنـع دموعـه مـن أن تنـساب .... فلنقتـرب أكثـر لهـاتين العينـين السوداوين إنـه " سليـم " نعـم .... " سليـم " الـذي كان يحكي قصته على لسان " حسن "

نفخة الروح

كان الجو صحوا فأدار زر التلفاز كالعادة وبدأ في التقليب بمحطاته المختلفة وفجأة شاهد برنامجا أرشيفيا عن لقاءات واجتماعات الرؤساء العرب من خمسين عاما أو يزيد وكيف كان الحلم بالوحدة العربية وكيف كان استقبال هذه الأفكار من الشعوب التي حملتهم على أعناقهم مؤيدة رأيهم وكيف كان الهدف ساميا ونبيلا ولم يكن هناك طمع أو ما شابه في ثروة بلد لبلد إذا كان الكل تقريبا سواء............ فانسابت من عينيه الدموع الشديدة ومر أمامه شريط الذكريات لقد رزق بثلاثة صبية كانوا كل حياته سافروا جميعا للعمل خارج مصر فسافر الأول إلى العراق وتزوج عراقية وسافر الآخر إلى الكويت وتزوج من سورية كانت تعمل في نفس الشركة التي كان يعمل بها والثالث هاجر

إلى أمريكا وتزوج جزائرية ومرت السنوات والكل في سعادة وهناءة وأحس أن بيته أصبح جامعة عربية فكان الأبناء يحضرون إلى القاهرة ومعهم زوجاتهم وأحفاده يقضون الإجازة الصيفية يسافرون إلى الشواطئ وينعمون بالجو المعتدل وكانت زوجات أبنائه مع زوجته يحضرون أشهى الأكلات وأطعمها من كل البلدان ولا يذكر كيف تغير الزمان وتبدل الحال فلقد قامت الحرب على العراق من قبل أمريكا وعلم أن ابنه الأكبر قد سقط شهيد ولا يعلم شيئا عن زوجته وأحفاده ومن قبلها الحرب العراقية على الكويت وفقد الأبن الأوسط وأخيرا ما كان من أمر حوادث الإرهاب في الجزائر و سقط الأبن الأصغر الذي كان خبيرا في البترول وهنا يشتد به النحيب ولا تتوقف دموعه حينما ربتت يد زوجته على كتفه وظلا ينتحبان لكنه كان من وقت لآخر يمسك بأجندة الهاتف يحاول الاتصال بآخر الأرقام

في الكويت والعراق والجزائر علـه يعرف أين زوجات أبنائه وأحفاده أو يعرف أية معلومة عنهم ولكن دون جدوى ولكنه مازال يحاول ويحاول دون أن يقطع الأمل في رحمة الله - تعالى -

وعلى بعد أميال كان الأمل قادم .... على بعد أميال تتسابق ثلاثة سيارات تاكسي على الوصول لعنوان واحد في قلب القاهرة ... تتسابق السيارات دون اتفاق مسبق يجلس في كل منها سيدة وأبنائها .... تزدحم الشوارع .... تتعالى آلات التنبيه .... تصل السيارات إلى الهدف تصل إلى قلب العاصمة ينزل الجميع شاهقة أبصارهم إلى أعلى البناية وقد خفتت انوارها وسكنت حركاتها يقف الجميع ينظرون إلى بعضهم البعض في ذهول هاقد بدأ الجميع يتفحصون ملامح بعضهم البعض ... ها قد انسابت من عيون النساء الدموع .... أغرقت الدموع الخدود والملابس وانهمرت إلى

الأرض تروي الشوق وتملأ الشقوق وسارع الجميع إلى السلم يدبون بخطواتهم عليها يسارعون إلى القلبين الكسيرين يزفون البشرى ... ها قد عاد الأمل ....لسوف تعود إلى الشفاه البسمة ....

وقبل دق الجرس .... وعلو الأصوات لم تغمض عين الجد ولا عين الجدة وكأن القلب قد سارت فيه نشوة لا يعلم أحد منهما مبعثها .... حتى سمعا صوت الخطوات يقترب رويدا رويدا وتتعالى الصيحات .... وكل منهما يتمنى .... ولكن يكتم في صدره الأمنيات .... وها قد أزاح كل منهما فراشه وهب واقفا ...... ونظر كل منهما إلى الآخر يشير إليه وإلى الأصوات ولكن بلا كلمات .... واقترب الصوت واقتربا من الباب ...... وأضيئت الأنوار .... ومع دق الجرس فتحا الباب وتوالت الأحضان والعبرات وأنسابت القبلت عذابا وأختلطت الأجسام فلا تعرف رأس من هذي

ولا يد من ولا قبلة من علي يد أو خد من وعلت الصيحات والآهات من عند هذا الوقت أبدا لم تنطفئ النوار ولم تخبت في القلب الآمال لقد عاد الأبناء الثلاثة في أحفادهم وزجاتهم أثنى عشر وبعثت جامعتنا العربية من القلب ..

من قلب مصر

مذكرات قرداتي

كان الرأي من النافذة يشعر أنه في قبيلة فقيرة من القبائل الأفريقية فلقد كانت البيوت فقيرة في مظهرها ومن وقت لآخر تجد القرود تطرق عليك الأبواب والنوافذ تطلب الطعام .... أكيد مش مصدقين ....بتقوله ده واد مجنون بيحلم ولا حاجة .... طب والله العظيم حصل ... واللي مش مصدق ...يجئ يشوف ... هنا في جنوب المملكة العربية السعودية وبالقرب من الحدود اليمنية ..... العيشة هناك كده ....

أنا اللي كنت متبطر على العيشة في حواري مصر ... ياريتها دامت ..... قالوللي السفر وسافرت ولقيتهم يا سيدي ودونى في الجنة اللي بحكيلكم عليها دلوقت .... أكيد لسه مش مصدقين .... على فكرة ولا أنا مصدق ...... دايما أحكي لمراتي وأمي

على التليفون عن النعيم اللي عايش فيه وعلى العز والأوبهه ...... هو أنا مجنون أقول قرود كانوا يخلون جنبهم ويودون السراية الصفرة وعنها يا معلم أطلع مجنون وصاحب البيت يطردنا منا مش مسافر يعني مش هدفع الأقساط وأكيد صاحب الغسالة والبوتجاز والثلاجة والدش وكل اللي ليه حاجة عندنا هيسحبها ... يا أخي الغريبة إن الحارة من ساعة ما عرفت إني مسافر وكل واحد خبط على البيت ورمى حاجة .... وهو بيقول والابتسامة على وشه مليانة ما الأستاذ مسافر يبقى يسدد على مهله هي الفلوس هتروح فين .... المهم اتورط يا معلم .....

وطبعا لما وصلت للجبلاية اللي أنا عايش فيها قلت ورحمة أبوي لا أنا راجع لمصر أشرب المر أكل الطين بس غيتوني يا ناس من هنا .... أشرب المر آكل الطين .... مخلاص يا عم

.................طلع في وشي بتاع الشقة وبتاع الأجهزة والعيشة اللي الأولاد بقوا بيحبوني علشان معيشهلهم يا راجل ده مراتي معملتها اتغيرت مئة وتمنين درجة قبل مسافر وأمي والله العظيم أمي يا عم اللي كانت تقولي دايما ما أصل أنت خايب زي أبوك تحب الجوع والراحة ....اتلحلح قوم شفلك سفرية واديني سافرت ....يا أخي الغريبة إن الواحد بعد الضهر ميئذن ميلاقيش حد فاتح بابه ولا قاعد يتمشي ....يتمشى فين يا عم وتسمع قصص بأه وحواديت .... يوقلك واحده سابت شباك أوضة ابنها مفتوحة جه قرد وخطفه .... واللي يقولك مرة عربية نقل خبطت قرد ومات قاموا القرود قطعوا الطريق وبدأوا يضربوا العربيات والسواقين بالحجارة ومنجدش السواقين وعربياتهم إلا طيارة رمتلهم شوية موز وسوداني بعيد فسابوا الأضراب وراحوا

بيأكلوا الموز والسوداني ونسيوا أخوهم الميت ما هو عـالم قـرود بـأه همهـم علـى بطـنهم علـى فكـرة بيفكرونـي بحـد أعـرفهم .... أيوه ... أيـوه أأبـه .... اسكت اسكت هاتودينا في داهية .... واللـي يقولـك مـرة لمؤاخـذة حـد ركـن عربيتـه وراح يعمـل زي النـاس رجـع لقاهـا منهوبـه وكـان فيهـا فاكهـة وموز صومالي من اللي قلبك يحبه

وادينا عايشين .... المهم مطولش عليكم زهقت من الوحـدة ومن الحكـاوي مـع الزمـلاء فـي الصبح وفجـأة بالليـل سمعت حـد بيخـبط علـى الشباك مـين مين محدش بيرد قلت أكيد قرد أهو نشوف عايز إيـه وفتحت الشباك وفعلا لقيتـه قـرد المهم امشـي مـش عـايز يمـشي أقفـل الـشباك يرجـع يخـبط اشـوحله بعصاية مفيش فايدة المهم افتكرت إن عنـدي مـوز في المطبخ جبتله موزة أنـه يمشي مفيش فايدة كلها ومتـنح المهـم جبـت مـوزة تانيـة بـس رمتهالـه بعيـد

ففعلا جابت نتيجة فقلت الشباك رجع خبطت تاني
المهم فضلنا كده للصبح لغاية لما الموز خلص .....
رحت الشغل مدروخ منيمنيش ابن اللذينه ...
وحكيت لأصحابي فاللولي اشرب يا حلو ....
مفهمتش غير بلليل لقيت مش تخبيط لقيت ترزيع
على الباب فتحت لقيت القرد جاب أهله وعايزني
اضيفهم المهم خفت خفت قصدي اترعبت من
المنظر ورميت كل الأكل اللي عندي عليهم وهم
ولاد القرود عاملين يخبطوا وستر الله كان فيه حديد
على الشباك وكل ميخبطوا انا قلبي يتخلع من مكانه
والآكادة يا أخي إن الجيران عارفين إن فيه مصيبة
عندك ومفيش حد يحوش ... بس يحوش إيه هي
قطط و لا كلاب ده قرود قرود ...

المهم محشهمش عني غير الصبح لما طلع ورحت
رايح الشغل وأنا كلي حذر أحسن حد يكون واقف
من القرود بره مستنيني بطوبة ولا حاجة المهم

رحت الشغل وانا مش شايف قدامي ورحت متأخر ودخلت الفصل على طول والعيال هاتك ياضحك ويشاوروا على ربك والحق أنا مش عارف بيضحكوا ليه فلقيتني لسه لابس البيجامة وشبب الحمام في رجلي والبنطلون ناحية مشمرة وناحية لأه ... فقلت أكمل باقي التمثيلية ورحت متشعبط على الشباك وبدأت أقلد القرود المهم جه الناظر والزملاء وانا عليت معايه العملية ....حيث أصبح لا تراجع ولا استسلام ومن يومها وأنا بتنطط على حديد الشباك بس مش شباك المدرسة شباك السراية الصفرة ليه بأه لأني ولو معملتش كده صاحب الشقة هيطردنا وكل اللي جاب حاجة ولا ليه فاتوره عايز يأخدها واقضيها تنطيط في السجن لا يا عم أنا هطنط هنا أحسن وخلي العيال وأمهم وأمي يتبسطو بالشقة والتلاجة والدش ومستنيكو في الشباك اللي جانبي ....

الفهرس

